

## إبستمية ترتيب العلوم عند ابن حزم

عبد السلام سعد

أستاذ بجامعة زيان عاشور، الجلفة

saadabdeslem@univ-djelfa.dz

اهتم المسلمون بتصنيف وترتيب العلوم، خاصة مع التدفق الهائل للمعارف والعلوم، وذلك قصد التعرف على ما ينسجم من العلوم مع أصول عقيدتهم. وقد كان السبق العلمي لحضارات غير إسلامية، مثل اليونان وغيرهم من الأمم السابقة. ولعل من أشهر من قام بتصنيف للعلوم الفيلسوفين: أفلاطون (Plato) وأرسطو (Aristotle). وكان لزاماً على علماء الإسلام مراجعة هذا التصنيف، لذا جاء تصنيف العالم والفيلسوف ابن حزم للعلوم لبيان موقف العقل الإسلامي من مختلف المعارف والعلوم. ولم يكتف بتصنيف العلوم، وإنما تعدى ذلك إلى تحديد الدعائم التي تقوم عليها مسيرة المتعلم، وبيان مراحلها، وما تحتاجه كل مرحلة من تحصيل.

### 1. تمهيد

ليس علم تصنيف العلوم وترتيبها علماً وظيفياً صرفاً، يكتفي بإحصاء ما هو كائن من المعارف، ويصف ما كان قائماً منها ليبني عليها ما سيكون، في نطاق التدرج المعرفي. بل إن هذا العلم يحمل في ظاهره الوصفي التقريبي غاية معيارية؛ تتمثل في اتخاذه من وصف ما كان في واقع العلوم بناءً لما ينبغي أن يكون في توجهات العقل الإبداعي إلى مباحث المعرفة، بالتوجه إلى المستجد من مناهات الاستكشاف العقلي بحسب ما يقتضيه تقدم حياة الإنسان، وعملية التعلم للوصول إلى الحقيقة. ومنذ أن استقر للأمة الإسلامية بناؤها الحضاري، عرف المسلمون ضرورة العلوم، دفعهم إلى ذلك دعوة الإسلام للقراءة، فوجدوا أنفسهم أمام أسئلة متعلقة بالمعارف والعلوم، كان من أبرزها: ما أهم أصناف العلوم، وما العلوم الأولى بالتحصيل؟ وانبرى لهذه المهمة علماء وفلاسفة كان من أبرزهم ابن حزم الظاهري، الذي ألّف رسائل في أصناف العلوم، من أبرزها رسالته "مراتب العلوم"، والتي نحاول مناقشة ما جاء فيها وأسباب تأليفها، وبيان مراتب العلوم التي رغب الإسلام فيها.

### 1.1 مكانة ابن حزم العلمية والفكرية

امتلك علي بن أحمد بن حزم (ت. 456 هـ/1064م) مجموعة من المواهب والعبقريات في شتى المعارف والعلوم، وقد اعترف بفضلها وعلمه القدامى والمحدثون. فقيل عنه: "ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل وما يتعلق بالأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعليم القديم من المنطق والفلسفة..." ويمكن أن ندرك مكانة ابن حزم العلمية من خلال تفوقه وسعة معرفته وقوة حفظه، وتنوع اهتماماته العلمية. فقد وصفه الخبير بالعلماء الإمام الذهبي بقوله: "الإمام الأوحى البحر، ذو الفنون والمعارف، رأس في علوم الإسلام، متبحر في العلم عديم النظر... كان إليه المنتهى في حدة الذهن وسعة العلم". وقيل فيه: "كل العلماء عيال على ابن حزم" [4] [5].

### 2.1 دو افع ابن حزم في الاهتمام بتصنيف العلوم

لم يكن ابن حزم بعيداً عن الخوض فيما وصل إليه سابقوه ومعاصروه، في الحديث عن تصنيف العلوم ومراتبها، فقد "انطلق في الحديث عن تصنيف العلوم من موقعين: الأول صلته بالمنطق والفلسفة، وهي صلة تكاد تلزم صاحبها بمعرفة العلوم ومقدمات كل علم، وهذا ما تصدى له في كتابه التقريب لحد المنطق؛ والثاني نزعة التدوين التي كانت توجه تلامذته إلى سؤاله عن العلوم وماذا يأخذون منها وماذا يتركون، وهذا ما عرض له في رسالته رسالة مراتب العلوم ورسالة

التلخيص لوجوه التخليص. ويذكر محقق رسائل ابن حزم الأستاذ إحسان عباس أنه "استجابة لتساؤلات تلامذته حول العلوم، استطاع ابن حزم أن يقرر الحد الأدنى والضروري من العلوم لكل طالب، كما توجه بطبيعة التساؤلات نفسها إلى فكرة المفاضلة بين العلوم، وهذا ما يوحى إليه عنوان رسالته مراتب العلوم" [1].

## 2. تصنيف العلوم وتوجهاته عند العلماء المسلمين

### 1.2. معنى تصنيف العلوم

تصنيف العلوم هو: "علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم..." [9]، أي أن نظام التصنيف عبارة عن تصور عقلي ترتيبي للمعرفة البشرية، يوضع لبيان وتوضيح علاقات أصناف العلوم والمعارف بعضها ببعض. وهذا ما يؤكد أن تصنيف العلوم عمل منهجي يدخل ضمن فلسفة العلوم، ومن يستقرئ تاريخ العلوم يجد محاولات كثيرة لتصنيف العلوم عند الكندي والفارابي وابن سينا وابن خلدون وغيرهم. لكن قبل هذه المحاولات الإسلامية، كان السبق لمحاولات غير إسلامية ظهرت عند اليونان، أشهرها تصنيف أفلاطون وأرسطو.

### 2.2. تصنيف أفلاطون وأرسطو للعلوم

#### أ. تصنيف أفلاطون للعلوم

يُعدُّ أفلاطون (427-347 ق.م) أول من قام بتصنيف العلوم، ويستند تصنيفه إلى تقسيم المعرفة إلى قسمين، بناء على افتراضه أن ثمة عالمان: عالم حسي مرئي وعالم معقول. فالعالم المحسوس يتضمن جميع الصور المحسوسة من حيوان ونبات وطب وكيمياء وفن وصناعة وغير ذلك، وأما المعقول فيتضمن جميع المعارف المعروفة بالعقل لا بالحس، كالرياضيات والإلهيات [6]. فهو يقيم تصنيفه لأنواع المعارف والعلوم على أساس تفرقه بين عالم مرئي وعالم معقول، هذه التفرقة تسمي المعرفة التي تتناول العالم الحسي بالظن، والمعرفة التي تتناول ما هو معقول بالعلم أو بالتعقل.

#### ب. تصنيف أرسطو للعلوم

أقام أرسطو (384-322 ق.م) تصنيفه للعلوم، حسب الغرض منها، وذلك في ثلاث مجموعات هي [7]:

- 1- علم نظري: غايته مجرد المعرفة، ويشمل العلوم التي تهدف إلى التعريف بالأشياء وشرحها، وينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

- علم ما بعد الطبيعة أو الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي، وهو بحث في الوجود المطلق.
- العلم الرياضي، وبحث في الوجود من حيث هو مقدار وعدد.
- العلم الطبيعي، وبحث في الوجود من حيث هو محسوس متحرك.

2- علم عملي: غايته المعرفة لأجل تدبير الأفعال الإنسانية، وبحث في علم الأخلاق وعلم التدبير وعلم السياسة

3- علوم شعرية: تهدف إلى إنتاج الأعمال الأدبية وتشمل: البلاغة والشعر والجدل.

### 3.2. تصنيف العلوم عند المسلمين بين التقليد والتأصيل

اهتم المسلمون بتصنيف العلوم، خاصة مع التدفق الهائل للمعارف والعلوم، وذلك للتعرف على صلة العلوم وارتباطاتها فيما بينها، وما ينسجم ومنهجهم الإسلامي. لكن ما أَلّفه المسلمون متعدد المشارب، ومختلف التوجهات، لذا فإني اضع لائحة بأهم المؤلفات الإسلامية المصنفة للعلوم، مما كان له إسهام في إنضاج هذا الفن، وفق تسلسلها التاريخي [9]:

- إحصاء العلوم للفارابي (ت. 339 هـ)،
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت. 386 هـ)،

- الفهرست لابن النديم (ت. 384 هـ)،
- رسالة مراتب العلوم لابن حزم (ت. 456 هـ)،
- المقدمة لابن خلدون (ت. 808 هـ)،
- مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (ت. 968 هـ).

وليست هذه المؤلفات متساوية في قيمتها التصنيفية، ولا في تمثيلها لأصول الفكر الإسلامي، لكنها تبين العناية المستمرة من قبل المسلمين بهذا العلم، والإنضاج المطرد لشكله ومحتواه، تماشيًا مع ظهور علوم إسلامية وتوسعها وتفرعها. فهذا الإنتاج الهائل من قبل فلاسفة ومفكري الإسلام لم يكن صدفة أو ضربًا من العبث، بل كان بدوافع وأغراض واضحة. والمتأمل في تصانيف فلاسفة وعلماء المسلمين للعلوم، يلاحظ بسهولة وجهتين مختلفتين، تتمايزان في الهيكلة العامة وفي الخصائص التصنيفية والبنية الداخلية، وهو ما ينتهي باختلاف بينهما في الغاية التي رامت كل التصنيفات تحقيقها. أما الوجهة الأولى، فيظهر فيها بوضوح التأثير بالتصنيف الأرسطي للعلوم، ويحذو هذا التقسيم حذو فلاسفة اليونان: أرسطو وأفلاطون بتمييزهم بين المعارف النظرية والعملية؛ وأما الثانية فهي وجهة حاولت أن تشتق أصولًا للتصنيف من خصائص البيئة الثقافية الإسلامية، المتأتية بالداعي العقائدي الإسلامي.

#### أ. التصنيف التقليدي للعلوم: الفارابي أنموذجاً

قام الفارابي في رسالته التنبيه على سبيل السعادة بتقسيم العلوم إلى قسمين، تبعًا لطبيعة موضوعاتها، وعلاقتها بفعل الإنسان. علوم نظرية: وهي التي تُحصَلُ بها معرفة الموجودات، التي ليس للإنسان فعلها، وتشمل: علم التعاليم، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي. وعلوم عملية: وهي التي تُحصَلُ بها معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها، وتشمل: علم الأخلاق، وعلم السياسة [7].

وقد فصل الفارابي هذا الجانب النظري في مؤلفه إحصاء العلوم، فقسمه إلى خمسة فصول، حيث قال: "قصداً في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علمًا علمًا، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم: وهي العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم والموسيقى وعلم الأثقال والحيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس في العلم المدني وأجزائه، وعلم الفقه وعلم الكلام" [8]. ويكفي ما أوردناه لمعرفة الهيكل العام الذي اعتمده الفارابي لتصنيف العلوم، حيث يظهر التأثير جلياً بأرسطو في تقسيمه العلوم إلى نظرية وعملية.

#### ب. التصنيف التأصيلي للعلوم: الخوارزمي أنموذجاً

يقول الخوارزمي عن كتابه مفاتيح العلوم: "وجعلته مقالاتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من علوم العربية، والثانية في علوم العجم: من اليونانيين وغيرهم من الأمم". فجاءت مقالة علوم العرب في ستة أبواب: الباب الأول في الفقه والثاني في الكلام، والثالث في النحو، والرابع في الكتابة، والخامس في الشعر والعروض، والسادس في الأخبار. أما مقالة علوم العجم فجاءت في تسعة أبواب: الباب الأول في الفلسفة، والثاني في المنطق، والثالث في الطب، والرابع في علم العدد، والخامس في الهندسة، والسادس في علم النجوم، والسابع في الموسيقى، والثامن في الحيل والتاسع في الكيمياء [3].

#### ج. موقف ابن حزم من مناهج السابقين والمعاصرين له في تصنيف العلوم

اهتم العلماء المتقدمون عن ابن حزم والمعاصرون له بتصنيف العلوم، ولعل التاريخ الإسلامي زاخر بمثل هذه المحاولات التي تعددت فيها وجهات النظر، وإن كان أغلبها يصنف العلوم تصنيفًا ثنائيًا تقابليًا، مثل علوم نظرية مقابل علوم عملية أو علوم عقلية مقابل نقلية، وعلوم وسائل مقابل علوم مقاصد. وهذا التصنيف الثنائي للعلوم ساهم عن

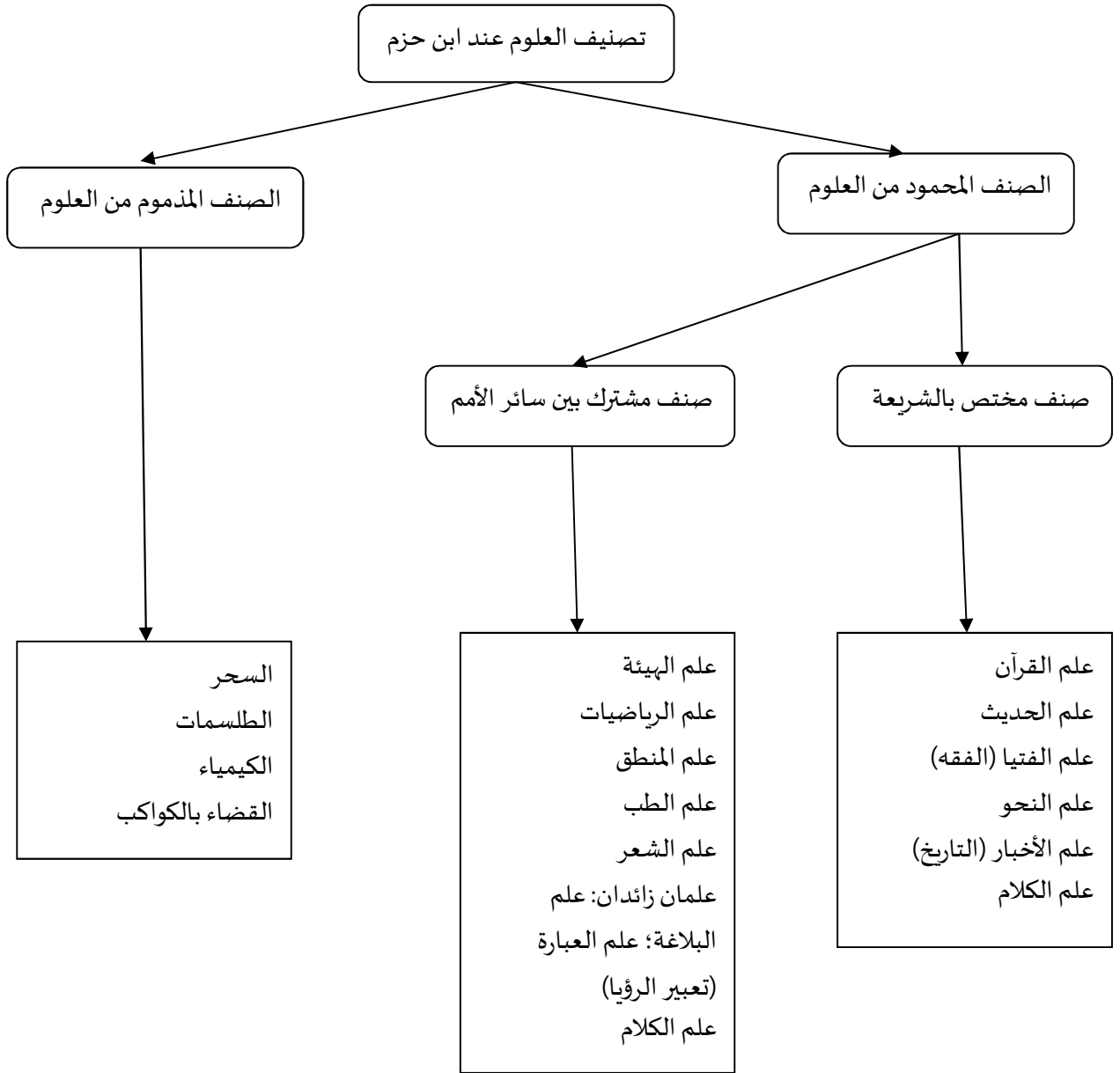
قصد أو عن غير قصد في ظهور نزعة تفاضلية بين العلوم، حيث يتم الفصل بين علم وآخر، فلا تكون ثمة علاقة بين مختلف العلوم، ثم يتبعه تفضيل علم على آخر، وكل أصحاب علم يدعون لعلمهم، ويسقّون العلوم الأخرى [10]. وقد أدرك ابن حزم خطورة هذه النزعة في تصنيف العلوم، حيث أن فريقاً من الناس: "لم يكن طلبهم لما طلبوا من العلم إلا الأزداء بسائر العلوم وتنقيصها فيظنّهم الفاسد أنه لا علم إلا الذي طلبوا فقط... ومن ذلك أن وجدنا قوماً من أهل الطلب أعني لعلوم الديانة يزرون بسائر العلوم، وهذا نقص عظيم لا ينتفع به صاحبه... ووجدنا قوماً طلبوا علوم الأوائل أو علماً منها، واتخذوا سائر العلوم سخرياً" [2]. وهذا سبب آخر من الأسباب التي حملته على الاهتمام بموضوع تصنيف العلوم، وجعلته يقدم لنا تصنيفاً للعلوم وفق تصوره لأقسامها ومراتبها، فظهر ذلك في رسالتين: رسالة التوقيف على شارع النجاة، ورسالة مراتب العلوم.

### 3. تصنيف العلوم عند ابن حزم ونظرته للعلوم

#### 1.3. تصنيف العلوم عند ابن حزم

أقام ابن حزم تصنيفه على أساس التفرقة بين صنفين رئيسيين: صنف نافع ومحمود يدخل في سياق العقل والشرع؛ وفي المقابل صنف مذموم خارج عن مسار العقل والشرع. يقول ابن حزم: "فالعلوم تنقسم أقساماً سبعة عند كل أمة، في كل زمان وفي كل مكان وهي: علم شريعة كل أمة... وعلم أخبارها وعلم لغتها، فالأهم تتمايز في هذه العلوم الثلاثة، والعلوم الأربعة الباقية تتفق فيها الأمم كلها وهي: علم النجوم، وعلم العدد، والطب، وعلم الفلسفة، ومعرفة إلهية... وقد بينا أن كل شريعة سوى الإسلام فباطل، فالواجب الاقتصار على شريعة الحق" [1]. وأقسام علوم الشريعة عنده أربعة: "وعلم شريعة الإسلام ينقسم أقساماً أربعة: علم القرآن وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الكلام" [1]. ثم يضيف لهذه العلوم الأربعة مجموعة من العلوم وهي: النحو واللغة والأخبار وعلم النسب، وعلم النجوم، والعدد، والمنطق، والطب، والشعر، والبلاغة، وعلم العبارة - أي تعبير الرؤيا - [1] "فهذه الأفانين هي التي يطلق عليها في قديم الدهر وحديثه اسم العلم والعلوم، وعند التحقيق وصحة النظر، فكل ما عُلم فهو علم، فيدخل في ذلك علم التجارة، والخياطة، والحياكة، وتدبير السفن، وفلاحة الأرض، وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها، والبناء وغير ذلك؛ إلا أن هذه إنما هي للدنيا خاصة فيما بالناس إليه الحاجة في معاشهم. والعلوم التي قدّمنا، الغرض منها التوصل إلى الخلاص في المعاد فقط، فلذلك استحققت التقديم والتفضيل، وبالله تعالى التوفيق" [1]. وأما العلوم المذمومة عنده، فتشمل أربعة علوم هي: السحر، والكيمياء، والموسيقى، والكواكب أو النجوم، وعلم الطلسمات. فيقول: "... من ذلك علم السحر وعلم الطلسمات، ... ومن ذلك علم الموسيقى وأصنافها الثلاثة... فاعلموا أسعدكم الله بتوفيقه أن من رأيتموه يدعي علم الموسيقى واللحون، وعلم الطلسمات فإنه ممخرق كذاب ومشعوذ وقّاح، وكذلك من وجدتموه يتعاطى علم الكيمياء..." [1].

المخطط التالي يوضح أقسام العلوم عند ابن حزم:



## 2.3. منهج ابن حزم في التدريس

يمكن تلخيص مراحل التعليم عند ابن حزم في هذا الجدول [1].

المرحلة	نوع العلم	المستوى المطلوب	الكتب المقررة
الأولى	أ. الخط ب. القراءة	1. خط قائم الحرف، بين، صحيح التأليف. 2. التمهُّر في قراءة كل كتاب يخرج من يده بلغته. 3. حفظ القرآن	القرآن الكريم
الثانية	1. النحو 2. اللغة 3. الشعر	أ- إتقان أحوال الإعراب ب- إتقان المستعمل الكثير الدوران في الكتب ج- شعر الحكمة والخير دون ما عداها د- المدح والثناء جائزان.	أ- الواضح للزبيدي أو الموجز لابن السراج ب- 1. للمعلومات الأساسية: الغريب المصنف لأبي عبيد، مختصر العين للزبيدي 2. للتعمق: خلق الإنسان لثابت، الفرق لثابت، المذكر والمؤنث لابن الأنباري، الممدود والمقصود للقالبي
الثالثة	علم العدد	الضرب والقسمة والجمع والطرح والتسمية المساحة، الأثرماتيقي (طبيعة العدد) دوران الكواكب، أوقات الليل والنهار، المد والجزر	أقليدس المجسطي
الرابعة	المنطق والعلوم الطبيعية	الحدود، علم الأجناس والأنواع، القضايا عوارض الجو، الحيوان، النبات، المعادن، التشريح	
الخامسة	علم الأخبار	التواريخ القديمة والحديثة وأصحابها تاريخ الملة الإسلامية، يتلوه تاريخ بني إسرائيل، يتلوه أخبار الروم وأخبار الفرس	
السادسة	قضايا فكرية مثل هل العالم محدث والنبوة	هل العالم محدث أو لم يزل؟ هل له محدث؟ هل النبوة ممكنة؟ النبوات. نبوة محمد صلى الله عليه وسلم	
السابعة	علم الشريعة	علم القرآن، الحديث، الفقه، الكلام	

وحذّر ابن حزم من الانشغال عن علوم الشريعة بأقسامها قائلاً: "فإذا اشتغل مغفل عن علم الشريعة بعلم غيره، فقد أساء النظر وظلم نفسه، إذا أثر الأدنى والأقل منفعة على الأعلى والأعظم منفعة" [1].

### 3.3. ضرورات طلب العلم عند ابن حزم

يمكن أن نختصر ضرورات طلب العلم عند ابن حزم في هذه النقاط [1]:

- طلب العلم لذاته، لا ليكتسب أو ليمدح به.
- الفهم والبحث والذكر والصبر.
- التعب فيه وإنفاق المال عليه.
- الاستكثار من الكتب لأنها لا تخلو من الفائدة، ولأن المرء لا يستطيع حفظ جميع العلوم ويتخصص فيها، فيرجع عند الحاجة إلى الكتب، والكتب تحفظ العلوم من الضياع، وتدحض دعاوى الجهلة وتساعد على التمييز بينهم وبين أهل العلم.
- التواضع في طلب العلم، وعدم الأنفة في التكرار على العلماء.
- تقييد ما يسمع، وجمعه وملازمة المحبرة يده وكمه.
- السكن في المدن التي ينتشر فيها العلم.
- حضور المناظرات ومجالس العلم لحصول السماع من علماء مختلفين وعدم الاقتصار على واحد منهم فقط، لما في ذلك من محاذير كإغفال النفع عند غيره، أو الاقتصار على ما عنده وإن كان غير كافٍ أو نافع.
- عدم الاقتصار على علم واحد، لأن العلوم يتعلق بعضها ببعض.
- طلب العلم الذي تتحقق فيه الرغبة ويتوفر معه الميل، والأخذ من باقي العلوم بما يكفي لمعرفة أغراضه.

### 4. مميزات المنهج الحزمي في تصنيف العلوم

#### 1.4. الابتعاد عن التصنيف التقابلي للعلوم

صنّف ابن حزم العلوم على أساس المنفعة، سواء كانت دنيوية أم أخروية، لا على أساس تقابلي بين علم وآخر. "إذ حقيقة العلم هو ما قلنا إنه يطلبه لينتفع به طالبه، وينتفع به غيره في داره العاجلة وداره الآجلة التي هي محل قراره ومكان خلوده" [1]. وهذا لا يعني أن العلوم لا تتفاضل فيما بينها، بل تتفاضل حيث: "يؤثر منها بالتقديم ما لا يُتوصّل إلى سائر العلوم إلا به، ثم الأهم فالأهم والأنتفع فالأنتفع، فإن من رام الارتقاء إلى أرفع العلوم دون معاناة ما لا يُوصّل إليه إلا به، كمن رام الصعود إلى عليّة مفتحة مظلمة أنيقة البناء دون أن يتكلف التنقل إليها في الدرج والمراقي التي لا سبيل إلى تلك العلية إلا بها" [2].

ولهذا لا يمكن النظر إلى ترتيب هذه العلوم على أنه تنازلي أو تصاعدي، تفقد فيه العلوم الموجودة في الأسفل قيمتها بالتدرج، وفائدتها بحسب ابتعادها عن العلوم الأولى. كما لا يمكن النظر إليه على أنه ترتيب تقابلي وتناظري يقسّم العلوم إلى نوعين: علوم النقل وعلوم العقل، كل واحد منهما على حدة مع محاولة التوفيق بينهما وبين مراميهما، كما نلاحظ ذلك في تصانيف جل الفلاسفة المسلمين. بل هو ترتيب دائري مغلق، يميز بين ما هو معقول شرعاً وعقلاً وهو البيان والبرهان، وما هو لا معقول عقلاً وشرعاً وهو الغنوص والباطن والكشف، أو باختصار اللاعلم.

#### 2.4. التداخل المعرفي

يكاد يكون التداخل المعرفي أهم ملمح لمنهجية ابن حزم في التعامل مع مختلف العلوم والمعارف، بل لا نعدو الصواب إذا قلنا إن التقسيم الثنائي للتداخل المعرفي لا وجود له في المنهجية الحزمية، فكل العلوم النافعة مندمج بعضها في بعض. "ومن اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره، أو شك أن يكون ضحكة، وكان ما خفي عليه من علمه



الذي اقتصر عليه أكثر مما أدركه منه، لتعلق العلوم بعضها ببعض، كما ذكرنا، وأدرج بعضها إلى بعض، كما وصفنا. ومن طلب الاحتواء على كلِّ علم أوشك أن ينقطع وينحسر، ولا يحصل على شيء، وكان كالمحضر إلى غير غاية، إذ العمر يقصر عن ذلك، وليأخذ من كل علم بنصيب، ومقدار ذلك معرفته بأعراض ذلك العلم فقط، ثم يأخذ مما به ضرورة إلى ما لا بد منه كما وصفنا، ثم يعتمد العلم الذي يسبق فيه بطبعه وبقلبه وبحيلته، فيستكثر منه ما أمكنه، فربما كان ذلك منه في علمين أو ثلاثة أو أكثر، على قدر زكاء فهمه وقوة طبعه وحضور خاطره، وإكبابه على الطلب، وكل ذلك بتيسير الله تعالى" [1].

### 3.4. خدمة الشريعة

يقول ابن حزم: "المطلوب بتعلم العلوم إنما هو تعلم علم ما أراد الله تعالى منا... وما به يكون المخلص... وهو المعرفة بالشريعة... فلا سبيل إلى صحة المعرفة واستحقاق حقيقتها إلا بمعرفة أحكام الله عز وجل... ولا بد أن يعرف من الحساب ما يعرف به القبلة والزوال إلى أوقات الصلوات... وقسمة الموارث والغنائم، فإن تحقيق ذلك فرض لا بد منه" [1]. وهذه الرؤية من ابن حزم لا يمكن أن نستغربها فهي صورة معبرة عن نظرة المفكر المسلم للعلم الذي تسيطر عليه الروح الدينية، فيضع الشريعة معياراً لتحديد قيمة أي علم، وبمقدار ما يقدمه ذلك العلم من خدمة للشريعة الإسلامية، بما يقرب العبد من ربه، فيكون هو الأهم والأكمل والأفضل. "وجملة الأمر أنه لولا طلب النجاة في الآخرة لما كان لطلب شيء من العلوم معنى لأنه تعب وقاطع عن لذات الدنيا... فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض... ولا غرض لها إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة فقط وهو علم الشريعة" [1].

### 4.4. النظرة التكاملية للعلوم

الملاحظ على هذا التصنيف أنه يهدف إلى إقامة تكامل بين العلوم والمعارف، إذ يشتمل على علوم الأوائل، إضافة إلى علوم عربية وأخرى دينية إسلامية، وعلوم أخرى كالطب والعدد والهندسة وغيرها. وهذا يعكس الاحترام الفكري المتبادل والمتكامل بينها من جهة، والتميز بالصبغة الواقعية الجلية من هذا التصنيف من جهة أخرى، حيث أدرجت هذه العلوم مع بعضها، وجمعت صنوفاً من علوم النقل والعقل التي يحفل بها الواقع الثقافي والعلمي في البيئة الإسلامية. يقول ابن حزم: "العلوم كلها متعلِّق بعضها ببعض، محتاج بعضها إلى بعض"، بل "لا يستغني منها علم عن غيره" [1].

### استنتاج

لعلنا نتساءل: هل كل تليد قديم؟ وهل كل ما تقادم لا بد أن يزول؟ إن تصنيف ابن حزم للعلوم يقدم لنا نموذجاً للعالم المسلم الحق، الذي يبين رأيه في القضايا والنوازل التي تحتاج إلى مواقف مبنية على نظرة الإسلام لمقاصدها، ويعيش عصره وواقعه، متميزاً بالموضوعية والدقة والشمولية. وهذا يدل على سعة اطلاعه وبراعته ونبوغه المتميز في المنهج المتبع والطرح الشامل، وحسن اختيار المواضيع، مع قراءة لكتب الخصم. وهذا هو السير المعرفي الصحيح الذي يتسق مع الإطار الذي يدعو إليه الدين الإسلامي، الذي انتهى إليه الإمام العالم الفيلسوف ابن حزم.

### المراجع

- [1] ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، ضمن "رسائل ابن حزم"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- [2] ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ضمن "رسائل ابن حزم"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- [3] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989.



- [4] الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.
- [5] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: الأرنؤوط والعرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
- [6] طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
- [7] طاهر، حامد، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، مجلة كلية الشريعة، جامعة قطر، العدد 9، 1991، ص. 383-416.
- [8] الفارابي، إحصاء العلوم، دار الهلال، بيروت، 1996.
- [9] موسى، جلال الدين، تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين، مجلة المسلم المعاصر، العدد 41، 1985.
- [10] الهنداوي، حسن إبراهيم، الإمام ابن حزم ومنهجيته في التعامل مع مختلف العلوم ومدى صلاحيتها لأسلمة المعارف الإنسانية، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد 2، 2011.

\*\*\*\*\*

